أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى عليه الفوت»[1].

ودخل الحجاج بن يوسف الثقفى بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما، فقال: كيف رأيتنى صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها[2].

* * *

**رابعًا: المساواة فى حق المشاركة والانتفاع بما سخر الله فى الكون:**

إن مفهوم التسخير الإلهى كما يتضح فى المنظور الإسلامى يوجب المساواة والمشاركة بين الناس جميعا فى التمكين من الانتفاع بمنافع الكون، وفى توفير القدر اللازم لاستمرار حياة الإنسان، وقد ورد ذلك فى آيات كثيرة من الكتاب الحكيم، ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٢٩]، والآية فيها أكثر من دلالة على العموم، عموم النفع لعموم الجماعة الإنسانية، فالضمير فى «لَكُمْ»، والاسم الموصول

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٣١/٤)، والإصابة لابن حجر (٦٢٠/٧).

(٢) صحيح مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم/ باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ١٩٠/٧)، رقم: ٢٥٤٥.

«مَـا» و«جَمِيعًا» فيهـا دلالات العموم. و«جَمِيعًا» فى مكانها من سـياق الجملـة يَصِحُّ أن تكون تأكيدا على العموم الذى أفاده الاسـم الموصول، ويصح أن تكون تأكيدا على الضمير فى «لَكُمْ» فيكون التأويل حينئذ إما: هـو الذى خلق لكم جميعا ما فى الأرض. أو: هو الذى خلق لكم جميع ما فى الأرض.

والاشـتراك بين الناس جميعا فى أحقية الانتفاع بضروريات الحياة أوجبته الشـريعة الإسـلامية من منطلق المسـاواة فى الإنسانية، ولذلك فيجب على المسـلم أن يتعاون مع غيره فـى القيام بواجبات المحافظة على البيئة ورعايتها، كما اشـتركا فى حقوق الانتفاع بخيراتها، ولكن المسلم يتحمل واجبا أكبر من غيره، حيث ألزمته الشريعة تحمل واجب الدعوة إلى المنهج السـوى والدين القويم، والذى يمثل الشـق الآخر من عملية الإعمار.

٢ - وقولـه تعـالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأعراف]، والآية الكريمة جمعت كل مفردات الوجود المشهود، الإنسان والمكان والزمان وأصول الحياة والجمال.

فكلمة «ولكم» معناها: لجميعكم وتفيد عموم الإنسان.

و«فى الأرض» أى: جميع الأرض وتفيد عموم المكان.

و«مستقر» أى: موضع استقرار وأمان تتوفر فيه الضروريات الحياتية، الماديـة من غذاء ومتنفس وحركة، والمعنوية مـن احترام وتكريم وحرية وعدل.

و«ومتاع» أى: موضع تتحقق فيه جماليات وتحسينيات تُوَفِّرُ للإنسان الراحة والمتعة فى إقامته على الأرض.

و«إلى حين» أى: إلى انقطاع الدنيا، وتفيد امتداد الزمان.

والآيــة وإن جاءت فى صيغة خبرية، ولكنها تنبئ الإنســان بمفهوم يترتب على اســتقراره فى عقيدته عدة أوامر شرعية، تتعلق بمهمته فى إعمــار الكون وخلافتــه فيه بالحق الإلهى، فمن ذلك تشــير إلى أحقية بنــى آدم جميعا فى الانتفاع بما فــى الأرض جميعها بما يوفر لكل فرد منهم الأمن والاستقرار والتمتع بجماليات الكون المسخر، وأن يستمر هذا الانتفاع طيلة بقائه فى الدنيا، وأنه هناك مقدار أولى يشــترك فيه جميع الناس بقدر متساو، وبناء على ذلك فلا يحق لإنسان أن يحتكر حق غيره فى الحياة والوجود بأن يستحوذ على القدر الذى يمكنه من العيش آمنا حرا كريما عنده من يكفيه من المأكل والملبس والمسكن وبقية الضروريات والجماليات الأساسية.

٣ - وقولــه تعــالى: ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [ســورة فصلت]، والشــاهد فى الآية قوله ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾، فكلمة «ســواء» تشــير إلى معانى المســاواة والمشاركة، فالله ســبحانه وتعالى قدر فى الأرض الأقوات والأرزاق للناس جميعا، بمعنى أنهــا لن تضيق بهم، ولن تعجــز يوما عن كفايتهم الغذائية، ولن تعطى ســائلا وتمنع آخر، بل ستستجيب للجميع على السواء، وذلك لأنه لم تتعلق مشــيئة الله أن تكون الأرزاق حكرًا على جنس دون آخر أو دُولَة بين فئة وجماعة دون أخرى، بل جعلها سواء للسائلين.

ولم يجعــل الله عطــاءه فى الكــون مرتبطًا بالاختيــارات العقائدية للإنســان، فالكون يعطى الإنسان بصفته إنسانا مخلوقا لله، يعطيه على

قدر جهده وعلمه، وعلى قدر موافقته لسنن الكون وقوانين تسخيره، وليس الأمر مرتبطا بإيمان أو كفر؛ لأن الله تبارك وتعالى أراد من الإنسان أن يأتيه طوعا مختارا محبا، ولو شاء سبحانه أن يعنته لفعل، أو يجبره لجاء كما جاءت غيره من الكائنات ولم يتخلف، ولكيلا تكون الحاجة إلى الطعام والشراب أو طلب الأمن دافعا مرغما على الإيمان جعلها الله سواء بين من آمن به ومن كفر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة التغابن].

٤ - وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٢٦]، قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله (وَمَنْ كَفَرَ) أيضا أَرْزُقُهُم كما أَرْزُقُ المؤمنين، أَأَخْلِقُ خلقا لا أرزقهم، أُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. ثم قرأ ابن عباس ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[1] [سورة الإسراء].

٥ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [ سورة هود].

٦ - وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة طه]، وفيه تقرير حق الإنسان في الطعام والشراب والسكن. فهي ضروريات ينبغي توفيرها لكل إنسان لا يُحْرَم منها أحد.

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٦/١).

٧ – وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية]، والشاهد فيها ضمير المخاطب فى «لَكُمْ» فهو للإنسان، وليست رسالة القرآن قاصرة على المؤمنين. وقد دلت آيات كثيرة على أنه سبحانه قد سخر الكائنات لمطلق الإنسان.

* * *

**خامسًا: المساواة فى حق التعبير عن الرأى:**

لقد حفظ الإسلام للإنسان حقه فى التعبير عن آرائه ومعتقداته، ولكنه جعل لهذا الحق ضوابط ومعايير، فيجب عليه إن تعلق رأيه بآخرين أن يكون صادقا فلا يكذب عليهم أو يزور، وكذلك لا يحق له أن يسبهم أو يقذفهم بالتهم التى لا بينة عليها، وعلى كل حال يجب عليه أن يحترم عقائد الآخرين وأفكارهم ومشاعرهم كما احترموا هم حقه فى التعبير.

وحق الإنسان فى التعبير هو جزء من الحريات العامة فى الدولة الإسلامية، وهو حق من حقوق الإنسان الطبيعية والتى يتساوى الجميع فى نوالها. وبناء على ذلك وجب تنظيم هذه الحرية حتى يأخذ كل فرد فى المجتمع منها نصيبه ولا يعتدى على نصيب غيره، ولا يحتكر إنسان سلطة التعبير ويحرم منها الآخرين، أو يعتدى فى تعبيره على خصوصية الآخرين وحريتهم فى الاختيار والتوجه.